

( لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي فسألني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها فكربت كربة ما كربت مثلها قط قال : فرفعه الله لي أنظر إليه ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به . وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء فإذا موسى قائم يصلي فإذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة . وإذا عيسى بن مريم عليه السلام قائم يصلي أقرب الناس به شبا عروة بن مسعود الثقفي . وإذا إبراهيم قائم يصلي أشبه الناس به صاحبكم . يعني : نفسه

فحانت الصلاة فأممتهم فلما فرغت من الصلاة قال قائل : يا محمد هذا مالك صاحب النار فسلم عليه . فالتفت إليه فبدأني بالسلام )  
أخرجه مسلم ( 278 )

ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار ) . [ قال : فقال الجارود : هو البراق يا أبا حمزة ؟ قال : نعم ] . [ يقع خطوه عند أقصى طرفه فحملت عليه : ( حم خ ) ]

[ ثم انطلقنا حتى أتينا إلى بيت المقدس فصليت فيه بالنبيين والمرسلين إماما : ( جرير ) ] . ثم انطلقت مع جبريل عليه السلام فأتينا السماء الدنيا قيل : من هذا ؟ قيل : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قيل : محمد . قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحبا به ونعم المجيء جاء . [ قال : ففتح : ( حم ) ]

فأتيت على آدم عليه السلام [ فقال : هذا أبوك آدم فسلم عليه : ( حم  
خ ) ] فسلمت عليه ف [ رد السلام و : ( حم خ ) ] قال : مرحبا بك  
من ابن ونبي ( وفي رواية : بالابن الصالح والنبي الصالح : [ حم خ ] )  
ثم [ صعد [ بي : ( خ ) ] حتى : ( حم ) ] أتينا السماء الثانية [ ]  
فاستفتح ف : ( حم ) ] قيل : من هذا ؟ قيل : جبريل . قيل : ومن معك  
؟ قال : محمد . فأتيت على يحيى و عيسى عليهما السلام [ وهما ابنا  
الخاله فقال : هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما : ( حم خ ) ] فسلمت  
عليهما ف [ ردا السلام ثم : ( حم خ ) ] قالا : مرحبا بك من أخ ونبي  
( وفي الرواية الأخرى : بالأخ الصالح والنبي الصالح : [ حم خ ] )  
ثم [ صعد [ بي : ( خ ) ] حتى : ( حم ) ] أتينا السماء الثالثة فمثل  
ذلك

فأتيت على يوسف عليه السلام [ قال : هذا يوسف فسلم عليه . قال :  
( حم خ ) ] فسلمت عليه ف [ رد السلام و : ( حم خ ) ] قال :  
مرحبا بك من أخ ونبي ( وفي الرواية الأخرى : بالأخ الصالح والنبي  
الصالح : [ حم خ ] )

ثم [ صعد [ بي : ( خ ) ] حتى : ( حم ) ] أتينا السماء الرابعة فمثل  
ذلك

فأتيت على إدريس عليه السلام [ قال : هذا إدريس فسلم عليه . قال :  
( حم خ ) ] فسلمت عليه ف [ رد السلام ثم : ( حم ) ] قال : مرحبا

بك من أخ ونبي ( وفي الرواية الأخرى : بالأخ الصالح والنبي الصالح :  
[ حم خ ] )

[ قال : ( حم ) ] : ثم [ صعد [ بي : ( خ ) ] حتى : ( حم ) ] أتينا  
السماء الخامسة فمثل ذلك فأتيت على هارون عليه السلام [ قال : هذا  
هارون فسلم عليه . قال : ( حم خ ) ] فسلمت عليه ( 1 ) . [ قال :  
فرد السلام ثم : ( حم ) ] قال : مرحبا بك من أخ ونبي ( وفي الرواية  
الأخرى : بالأخ الصالح والنبي الصالح : [ حم خ ] )

[ قال : ( حم ) ] ثم [ صعد [ بي : ( خ ) ] حتى : ( حم ) ] أتينا  
السماء السادسة فمثل ذلك ثم أتيت على موسى عليه السلام [ قال :  
هذا موسى فسلم عليه : ( حم خ ) ] . فسلمت عليه ف [ رد السلام ثم  
: ( حم ) ] قال : مرحبا بك من أخ ونبي ( وفي الرواية الأخرى : بالأخ  
الصالح والنبي الصالح : [ حم خ ] )

فلما جاوزته بكى . قيل : ما أبكاك ؟ قال : يا رب هذا الغلام الذي بعثته  
بعدي يدخل من أمتة الجنة أكثر وأفضل مما يدخل من أمتي

[ قال : ( حم ) ] ثم [ صعد [ بي : ( خ ) ] حتى : ( حم ) ] أتينا  
السماء السابعة فمثل ذلك

فأتيت على إبراهيم عليه السلام [ فقال : هذا [ أبوك : ( خ ) ] إبراهيم  
فسلم عليه : ( حم ) ] فسلمت عليه ف [ رد السلام ثم : ( حم خ ) ]

قال : مرحبا بك من ابن ونبى ( وفي الرواية الأخرى : بالابن الصالح  
والنبى الصالح : [ حم خ ] )

[ قال قتادة : وحدثنا الحسن عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه

وسلم أنه : ( حم خ ) ] قال : ( ثم رفع إلي

البيت المعمور فسألت جبريل عليه السلام ؟ فقال : هذا البيت المعمور  
يصلى فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لم يعودوا فيه آخر

ما عليهم ( 1 ) ] ( ثم أتيت بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل

قال : فأخذت اللبن . قال : هذه الفطرة أنت عليها وأمتك : ( حم ) ]

قال : ثم رفعت إلى سدرة المنتهى فإذا نبقتها مثل قلال هجر وإذا ورقها  
مثل آذان الفيلة . [ فقال : هذه سدرة المنتهى : ( حم خ ) ] . وإذا في

أصلها أربعة أنهار : نهران باطنان ونهران ظاهران فسألت جبريل ؟ فقال :

أما الباطنان ففي الجنة وأما الظاهران فالفرات والنيل

قال : ثم فرضت علي خمسون صلاة [ كل يوم : ( حم خ ) ] [ قال :

فرجعت : ( حم خ ) ] فأتيت على موسى عليه السلام فقال : ما صنعت

؟ قلت : فرضت علي خمسون صلاة [ كل يوم : ( حم خ ) ] . فقال :

إني [ والله : ( خ ) ] أعلم بالناس منك ( وفي رواية : قد جربت الناس

قبلك و : [ خ ] ) إني عالجت بني إسرائيل أشد المعالجة وإن أمتك لن

يطيقوا ذلك فارجع إلى ربك فاسأله أن يخفف عنك

قال : فرجعت إلى ربي عز وجل فسألته أن يخفف عني فجعلها أربعين

ثم رجعت إلى موسى فأتيت عليه فقال : ما صنعت ؟ قلت : جعلها  
أربعين . فقال لي مثل مقالته الأولى  
فرجعت إلى ربي عز وجل فجعلها ثلاثين  
فأتيت موسى عليه السلام فأخبرته فقال لي مثل مقالته الأولى فرجعت  
إلى ربي فجعلها عشرين ثم عشرة ثم خمسة  
فأتيت على موسى فأخبرته فقال لي مثل مقالته الأولى  
فقلت : إني أستحي من ربي عز وجل من كم أرجع إليه ؟ [ ولكن أَرْضِي  
وأسلم : ( حم خ ) ] . ف [ لما نفذت : ( حم ) ] نودي ( وفي رواية :  
نادى مناد : [ حم خ ] ) : أن قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي  
وأجزى بالحسنة عشر أمثالها )  
أضلوا بعيرا لهم قد جمعه فلان فسلمت عليهم . فقال بعضهم : هذا  
صوت محمد

ثم أتيت أصحابي قبل الصبح بمكة فأتاني أبو بكر فقال : يا رسول الله  
أين كنت الليلة ؟ فقد التمسك في مظانك ؟ فقال : علمت أنني أتيت  
بيت المقدس الليلة ؟ فقال : يا رسول الله إنه مسيرة شهر فصفه لي  
قال : ففتح لي صراط كأنني أنظر إليه لا يسألني عن شيء إلا أنبأته به .  
فقال أبو بكر : أشهد أنك لرسول الله . فقال المشركون : انظروا إلى ابن  
أبي كبشة يزعم أنه أتى بيت المقدس الليلة

قال : فقال : إن من آية ما أقول لكم : أني مررت بعير لكم في مكان  
كذا وكذا وقد أضلوا بعيرا لهم فجمعه لهم فلان وأن مسيرهم ينزلون بكذا  
ثم كذا ويأتونكم يوم كذا وكذا يقدمهم جمل آدم عليه مسح أسود  
وغرارتان سوداوان )

فلما كان ذلك اليوم أشرف الناس ينظرون حين كان من قريبا من نصف  
النهار حتى أقبلت العير يقدمهم ذلك الجمل الذي وصفه رسول الله صلى  
الله عليه وسلم

---

عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
( لما كان ليلة أسري بي وأصبحت بمكة فظعت بأمرى ( 1 ) وعرفت  
أن الناس مكذبي ) فقعد معتزلا حزينا فمر به عدو الله أبو جهل فجاء  
حتى جلس إليه فقال له كالمستهزئ : هل كان من شيء ؟ فقال رسول  
الله صلى الله عليه وسلم : ( نعم ) . قال : ما هو ؟ قال :  
( إنه أسري بي )

قال : إلى أين ؟

قال : ( إلى بيت المقدس )

قال : ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟ قال : ( نعم )

قال : فلم ير أنه يكذبه مخافة أن يجحده الحديث إذا دعا قومه إليه

قال : رأيت إن دعوت قومك تحدثهم ما حدثني ؟ فقال رسول الله صلى

الله عليه وسلم : ( نعم )

فقال : هيا معشر بني كعب بن لؤي

حتى قال : فانتفضت إليه المجالس وجأؤوا حتى جلسوا إليهما

قال : حدث قومك بما حدثني

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

( إني أسري بي الليلة )

قالوا : إلى أين ؟ قال : ( إلى بيت المقدس )

قالوا : ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟ قال : ( نعم )

قال : فمن بين مصفق ومن بين واضح يده على رأسه متعجبا للكذب

زعم

قالوا : وهي تستطيع أن تنعت لنا المسجد ؟ وفي القوم من قد سافر إلى

ذلك البلد ورأى المسجد

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

( فذهبت أنعت فما زلت أنعت حتى التبس علي بعض النعت - قال :

- فجيء بالمسجد وأنا أنظر حتى وضع دون دار عقال - أو : عقيل -

فنعته وأنا أنظر إليه

قال : وكان مع هذا نعت لم أحفظه )

قال : فقال القوم : أما النعت فوالله لقد أصاب

هذا الشجر سدرة المنتهى فإذا أربعة أنهار أي ظاهرة وقال شارح إذا

للمفاجأة أي فإذا أنا بأربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران قلت ما

هذان أي النوعان من الأربعة نحو قوله تعالى هذان خصمان اختصموا في ربهم الحج يا جبريل قال أما الباطنان فنهران في الجنة قال ابن الملك يقال لأحدهما الكوثر وللآخر نهر الرحمة كما في خبر وإنما قال باطنان لخفاء أمرهما فلا تهتدي العقول إلى وصفهما أو لأنهما مخفيان عن أعين الناظرين فلا يريان حتى يصبأ في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات قال القاضي الحديث يدل على أن أصل سدرة المنتهى في الأرض لخروج النيل والفرات من أصلها وقال ابن الملك يحتمل أن يكون المراد منهما ما عرفا بين الناس ويكون مأوئهما مما يخرج من أصل السدرة وإن لم يدرك كيفيته وأن يكون من باب الاستعارة في الاسم بأن شبههما بنهري الجنة في الهضم والعدوبة أو من باب توافق الأسماء بأن يكون اسما نهري الجنة موافقين لإسمي نهري الدنيا وفي شرح مسلم قال مقاتل الباطنان هما السلسبيل والكوثر والظاهران النيل والفرات يخرجان من أصلها ثم يسيران حيث أراد الله تعالى ثم يخرجان من الأرض ويسيران فيها وهذا لا يمنعه شرع ولا عقل وهو ظاهر الحديث فوجب المصير إليه وروى مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله عليه السلام أنه قال " أربعة أنهار من الجنة : النيل والفرات وسيحان وجيحان " .

هذه الأنهار الأربعة موجودة في الأرض ، معروفة للناس من مبدئها إلى منتهاها ، مشهودة لهم منابعها الأساسية ، ومصادرها الأولية . ومن أجل ذلك كان هذان الحديثان مشكلين في ظاهرهما ، لأنهما ربما دلا على

خلاف المشاهدة . فافتقرت الآراء هنا . فكذبت طائفة الحديث .  
وأفرطت أخرى فقالت : إن الأنهار المذكورة تخرج الآن من الجنة ،  
وتنصب منها . ولم تعبأ بأن تنازع المشاهدة . وقالت طائفة : إن في  
الكلام تشبيهاً . والمراد أن ماء هذه الأنهار يشابه ماء الجنة حلوة  
وغزارة ودواماً . وهذا القول لا يمكن إلا في الرواية الأخيرة .  
أما الأولى فلا . وقالت طائفة : المراد أن من يشربون من الأنهار الأربعة  
هم من أهل الجنة . أي إن البلاد التي فيها هذه الأنهار سوف يؤمنون  
فيكونون من أهل الجنة . وقالت طائفة إن في الكلام تمثيلاً . فسدرة  
المنتهى عبارة عن مركز التدبير للكون كله . فكل ما في الكون يدبر  
هنالك ، ويقضى ما يقضى فيه . فالنيل والفرات يدبران هنالك ويصدران  
عن مركزهما . فرسول الله - صلى الله عليه وسلم - رأى أمرهما  
وتدبيرهما يصدر من سدرة المنتهى لا ماءهما . وقالت طائفة : إن النيل  
والفرات رفعا ليلة المعراج إلى السماء بأعيانهما ، فرآها رسول الله عليه  
السلام ثم ، كما رفعت الأنبياء هنالك فرآهم . وقالت طائفة : هذه  
الأنهار المذكورة في الحديث أنهار موجودة في الجنة ليست هي الأنهار  
الموجودة في الأرض المعروفة ، وإنما توافقت أسماؤها . ففي الجنة أربعة  
أنهار تسمى بهذه الأسماء ، وفي الأرض أربعة أنهار هذه أسماؤها ،  
وقالت طائفة : قامت البراهين على صدق رسول الله عليه السلام وصحة  
هذين الخبرين عنه، فلزم أن نؤمن بذلك على مراد رسول الله عليه السلام

، ولا نكلف أنفسنا فهم ما لا نقدر على فهمه ، ولا نرد ما لم نحط به  
خبراً ، ويا رب حقيقة واقعة لا نفهمها . ولعلما عجزنا عن فهمه اليوم  
نفهمه غداً أو يفهمه غيرنا . أو لعل الزمان والحوادث تكشف لنا بعد  
ذلك عنه . وليس فهمنا وحدنا ميزان الحق والحقيقة . وفي السنة  
متشابهات . والمؤمنون هم الذين يقولون لما لا يفهمون ( آمنة به كل من  
عند ربنا ) ولا أضل ممن ذهب يرد ما لم يقدر على فهمه ، ولا أجهل  
ممن كذب بالشيء لأن الله لم يشأ أن يفهمه إياه .  
وهذه الأقوال كلها ضعيفة كما ترى ، لا تأنس بها النفس ، المؤمنة ولا  
الجاحدة ، وإنما الرأي الراجح الصحيح أن نقول : أما الحديث الأول  
فهو آت على سبيل التمثيل . فقد مثل له - صلى الله عليه وسلم -  
النيل والفرات هنالك تمثيلاً ، كما مثلت له الجنة والنار في عرض  
الحائط وهو قائم يصلي ، حتى تقهقر وراءه لما رأى النار ، وتقدم أمامه  
لما رأى الجنة ليأخذ عنقوداً ، وحتى رأى أناساً يعذبون في النار ، وكما  
مثل له عيسى بن مريم والمسيح الدجال ، أحدهما يتبع الثاني ، وكما مثل  
له موسى عليه السلام وهو راكب حاجاً ينحدر من الوادي ، وكما عرضت  
عليه الأمم أمة أمة ، فرأى سوداً ساداً الأفق ، فقليل له : هؤلاء قوم موسى  
، وكما زويت له الأرض فرأى

مشارقتها ومغاربها ، وكما رأى عمرو بن لحي يجر قصبة في النار ، ورأى المرأة التي عذبت الهرة بالحبس حتى ماتت . وقد رأى ليلة المعراج الأنبياء في السماء ، بعد أن صلى بهم إماماً في بيت المقدس ، وبعد أن رأى موسى يصلي في قبره ، وكذلك رأى نسمات الكافرين والمؤمنين عن يمين آدم وشماله في السماء . وقد رأى غير ذلك . وقد ذهبت طوائف من العلماء إلى أن ذلك كله على سبيل التمثيل والتصوير . فكذلك حديث النيل والفرات . مثلاً له عليه السلام في السماء قرب سدرة المنتهى فرآهما . فهذا الرأي يسائر الحس والعقل والشرع واللغة ، ولا يخالف منها واحداً . فلزم حمل الخبر عليه . ولا مندوحة عنه . والله سر في تمثيل هذين النهرين له عليه السلام في تلك الليلة العظيمة ، في تلك البقعة المباركة ، وهو أن يكون رمزاً وإشارة إلى أن الله سوف يفتحهما على أمته ، ويجعلهما تحت سلطان شريعته ، لأنه قد علاهما وتجاوزهما ارتفاعاً ، وصارا تحت ذاته الشريفة ، وفي ذلك ما فيه من البشرى له مادياً ومعنوياً . هذا معنى الرواية الأولى .

وأما الرواية الثانية ، وهي " النيل والفرات وسيحان وجيحان من الجنة " فالمعنى المختار أن يكون المراد أن الله أنزلهن من الجنة قديماً . بعد أن كن فيها . لمنفعة الناس ، وجعلهن في أماكنهن الآن من الأرض . وقد يشهد لذلك قوله تعالى ( وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكنناه في الأرض . وإنا على ذهاب به لقادرون ) وقوله ( أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع

في الأرض ) وقد كان آدم وزوجه في الجنة فأخرجها منها وأهبطا الأرض  
وكان الشيطان فيها فطرد منها . فكذلك الأنهار المذكورة . ولتعلم أن  
الرواية لم تقل إن الأنهار في الجنة ، بل قالت من الجنة . ولا يخفى  
عليك ما في العبارتين من الفرق . فالعبارة الأولى قد تدل على أنهن  
موجودات في الجنة . وأما الأخرى فتكاد تصرح بخلاف ذلك .  
وتم رأى ثان في الرواية الأخيرة . وهو أن هذه الأنهار سوف تكون في  
الجنة ، وسوف تكون من شراب أهلها ، وسوف يدخلهن الله فيها بعد أن  
يكملهن ويزيدهن حلاوة وعذوبة كما يفعل بالمؤمنين . هذا ما يتحمله  
هذان الحديثان من البيان الآن .

---

